

صحة الذاكرة

بيار رفول

القائد (٥)

أخبرني الكولونيل سامي الشدياق انه كان والعماد عون يخدمان على الحدود الجنوبية في أواخر الستينات. ذات يوم بينما كانا يتحدثان عن الأوضاع، قال له العماد عون: «حالتنا هيك يا سامي: الشعب اللبناني عم يرقص بالطابق العاشر والنار وصلت للتأمين والدراج احترق».

يروى المقدم عادل ساسين قائد الشرطة العسكرية انه كان ملازماً يخدم مع المقدم ميشال عون في صيدا. في أواخر سنة ١٩٧٤، ركب المقدم عون الى جانبه في الجيب برفقة بعض الضباط وأتى بهم الى مشارف تل الزعتر وقال لهم: أدرسوا جيداً مداخل هذا المخيم ومعابره، لأنه اذا استمرت التجاوزات الفلسطينية وبقيت القيادة على إهمالها وعدم اهتمامها لخطورة ما يحصل، فهنا بالذات ستحصل، في القريب العاجل، المعركة القادمة.

في منتصف الثمانينات أخبرني العقيد انطوان صوان انه في العام ١٩٧٥ كان مع ميشال عون في صيدا وكان من ذات الرتبة. وبعد مدة انفجرت الحرب وكثرت التعدييات والمخالفات وعم الخطف والتقتيل مختلف المناطق. فكتب المقدم ميشال عون تقريراً شاملاً عن الوضع ونبه الى عواقب الفلتان واضعاً تصوراً لمسار الاحداث وتطوراتها طارحاً حلاً من عدة نقاط لتفادي الكارثة واصلاح الخلل وضبط التجاوزات. وكرئيس انذاك لجهاز الافراد، دخلت الى مكتب قائد المنطقة العميد سيمون سعيد لأمضي بعض المعاملات فوجدته مع مجموعة من ضباط القيادة يتناقشون ويتشاورون «القيامة قائمة». استفسرت فأجابني احدهم: «تفضل شوف صاحبك ميشال عون شو متشائم. فاقعنا تقرير إلو أول ما إلو آخر بيخوف اللي ما بيخاف، وإذا ع رايو الحرب رح ترحلها شي عشر خمستعشر سنة وهات نبقي وهات ما نبقي». فأجبتة: «أوكيه هيدا رايه». قال: هيدا رايه مضبوط بس الشي ومنو ما في لزوم لكل هالتشاؤم، هيدي غيمة وبتروح وكل شي بيرجع مثل ما كان». تركتهم وعدت الى مكتبي وعند المساء التقيت المقدم عون ونحن باتجاه غرفة السهرة فقلت له: «شو عامل يا ميشال؟» فأجابني: «ليش شوفي؟ قلت: قايمه القيامه ع التقرير اللي رفعته للقيادة». فأجاب: «يا خبي هيدي مشكلتن. وليش يا أنطوان بدها تقوم قيامتن وقت اللي واحد بيعطي رايو باللي عم بيصير وبيجرب يتدارك الخطر اللي جايبني». ثم أكمل وقال لي: «مشكلة أكثر ضباطنا يا انطوان أنن ما بيقرؤوا وإذا قريوا ما بيحفظوا وإذا حفظوا ما بيفهموا وإذا فهموا ما بيستوعبوا وإذا استوعبوا ما بياخدوا احتياطات وبينسوا وبيستوهموا وبيصيروا يبسطوا الامور لأنن ما بدن يتحملوا مسؤولية ولا إن جلاده الشغل ويتوقع الكارثة كل مره وبيحترق دين الجيش وبتخرب بيوت الناس وكتار بيموتوا وبتدب الفوضى وساعتها بيتحمسوا وبيصيروا يجتمعوا ويألفوا لجان ت يشوفوا كيف بدن يجابهوا ويواجهوا ويتكون خربت الدني. شوف يا انطوان اذا الامور بدها تضل هيك، الله يسترنا». ثم أعاد علي نظرتة للأحداث وتطورها ورايه وتصوره لمعالجتها. وأني أقسم بأن ما تنبأ به المقدم ميشال عون آنذاك قد مر علينا خلال هذه السنوات العشر المنصرمة وكنت أتذكره عند كل حادثة وأخبر من حوالي عنه وما قال وكتب آنذاك».

• يتبع •